المحاضرة السابعة

المنهج التاريخي

يعد المنهج التاريخي من أهم المناهج البحثية التي يعتمدها العالم الا جتماعي في جمع الحقائق والمعلومات وتصنيفها وتنظيرها وربطها بموضوع الدراسة الذي يريد بحثه والتخصص به.

والمنهج التاريخي لا يتمثل في دراسة المجتمعات المحلية والكبيرة من حيث أصولها التاريخية ومباراتها التحولية والمراحل الحضارية التي تمر بها، وأهدافها الغائبة ذات الأبعاد المستقبلية فحسب بل يدرس أيضا الظواهر و المؤسسات والعمليات الاجتماعية دراسة تاريخية تتبع أصولها الاجتماعية وتطوراتها التاريخية ومباراتها الغائبة. (طلعت، 1961، ص229)

1- المنهج التاريخي عند العرب:

من أقطاب هذا المنهج العلامة ابن خلدون الذي كان يؤمن بالمنهج التاريخي العلمي القائم على الملاحظة والوصف والتحليل والنقد ومحاولة التفسير.

يرى ابن خلدون أن التحول الاجتماعي هو شيء حتمي يتسم بالا ستمرارية والفاعلية ذلك أن المجتمع يمكن تشبيهه بالكائن الحيواني الحي، فكما يولد الكائن الحيواني وينمو ويهرم ويموت، فإن المجتمع البشري هو الآ خر يولد وينمو ويهرم ويموت (إحسان ، 2005، ص76).

ويعتقد ابن خلدون بأن استمرارية المجتمع البشري في التغيير و التطوير لها نتائجها الواضحة المعالم، وهذه النتائج قد تتجسد في تغيير وسائل الضبط الاجتماعي وتغيير هيكل التوزيع الجغرافي والمهني والا جتماعي للسكان.

إن فضل ابن خلدون في تطوير المنهج التاريخي إنما يكمن في ناحيتين مهمتين الأولى هي تمييزه بين التاريخ وفلسفة التاريخ، والثانية هي محاولته معرفة العلل والأسباب التي تفسر الوقائع والأحداث التاريخية. (إحسان ، 2005، ص77)

ويضيف ابن خلدون في دراسته للمجتمع دراسة تاريخية معلومات قيمة أخرى هي ضرورة قيام الباحث بدراسة تطور الظواهر والنظم

العمرانية دراسة ديناميكية تاريخية، ذلك لأن الظاهرة العمرانية هي ظاهرة متطورة ومتبدلة.(ابن خلدون، 1978، ص174)

يؤمن أصحاب المنهج التاريخي العرب وعلى رأسهم ابن خلدون بمبدأ الحتمية، إذ يعتقدون أن للمدينة والعمران البشري قوانين ثابتة يسير كل منها في تطوره ومن هنا كان على الباحث أن يحاول الوصول إلى المقاييس التي يجري عليها العمران.(الخشاب أحمد، التفكير الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970، 307)

أما الفرابي: فيعتمد في كتابه "أهل المدينة الفاضلة" على المنهج التاريخي في تقسيمه للمجتمعات البشرية إلى قسمين أساسيين هما المجتمعات غير الفاضلة أو الجاهلة والمجتمعات الفاضلة أو الكاملة، ويقول بأن المجتمعات تتحول تاريخيا وتلقائيا من مجتمعات غير كاملة أو ناقصة إلى مجتمعات كاملة أو فاضلة.(إحسان، 2005، ص79)

أما إخوان الصفا: هم جماعة من المفكرين ظهرت في البصرة في مطلع القرن 14ه- فيعتقدون أن المجتمع البشري يتحول من مجتمع شرير وظالم إلى مجتمع خير وعادل. (الخشاب، 1975، ص128)

2- المنهج التاريخي عند الأوروبيين:

نظر التاريخيون الأوربيون إلى المنهج التاريخي نظرة واسعة ومتعمقة عندما استعانوا به في دراسة المجتمعات والظواهر والعمليات والمؤسسات ا لاجتماعية وغير الاجتماعية، فلم يعد التاريخ في نظرهم مجرد سرد الوقائع وقص الحوادث وتفسيرها وتحليلها.

ويبدو أن أصحاب هذا الاتجاه رأوا أن السير المستمر للإنسانية أن يكون اعتباطي أو خاضعا للمشيئات الفردية وللأهواء والمصادفات العابرة، ولكنه يسير نحو غاية عقلانية ووفق قوانين محددة كامنة في طبيعة الحوادث والحركات الإنسانية. (إحسان، 1988، ص112-113)

انتقل موضوع فلسفة التاريخ الذي وضع له ابن خلدون حجر الزاوية إلى أوروبا منذ بداية القرن 16 ميلادي فالعالم الألماني "فون هردر" وسع وطور الأفكار والمعلومات التي طرحها ابن خلدون في سياق نظريته التاريخية الفلسفية.

وقد تبنى "هيغل" فيلسوف ألماني هذه الأفكار الفلسفية التاريخية،

ووهب لها شيئا جديدا ألا وهو مذهبه الدايلكتيكي الذي اعتبره مفتاحا لفهم تاريخ الإنسانية واستيعاب معظم المشكلات.

ويعرف "هيغل" التاريخ بأنه تقدم يكمن في وعي الحرية العقلانية. ويعتقد أن الدولة إنما هي وليدة العائلة، وأن المجتمع أيضا هو وليد العائلة. (إحسان، 2005، ص82-83)

وقد اعتمد عالم الاجتماع الفرنسي "أوجست كونت" على المنهج التاريخي في دراسته للمجتمعات البشرية والعلوم التي عرفها الانسان وجميع المؤسسات والظواهر والعمليات الاجتماعية، حيث درس قوانين الحركة الاجتماعية .....للمجتمعات الانسانية والكشف عن مدى التقدم الذي تخطوه الإنسانية في نموها وتطورها.

هذا ما يتعلق بالمنهج التاريخي المستخدم في دراسة وفهم المجتمعات ؛ أما استخدام هذا المنهج في دراسة وفهم المؤسسات والنظم الاجتماعية فيتعلق باقتفاء التحولات الخارجية التي تطرأ على هذه النظم والمؤسسات من حيث نشؤها وتطورها.

فالتاريخ إذن يستعمل طريقتين في جمع الحقائق والمعلومات و التنقيب عن العوامل والقوى المسؤولة عن وقوع الحادثة الواحدة أو الحوادث المختلفة:

- **الطريقة الأولى**: واجبها وصف ماحدث في السابق فقط.
- **الطريقة الثانية**: واجبها تشخيص وتفسير العوامل المختلفة المؤدية إلى وقوع الحادثة التاريخية مع التطرق إلى مضامينها وأبعادها وآثارها على المجتمع. (إحسان، 2005، ص96)

3- تعريف المنهج التاريخي (الاسترادي):

1- **تعريف المنهج:** هو الأسلوب والطريق المؤدي لمعرفة الحقائق أو الغرض المطلوب، كذلك نطلق عليه الوسيلة المؤدية إلى اكتشاف الحقائق والمعرفة العلمية.

2- **تعريف التاريخ لغة:** أرخ ← تأريخ ← تسجيل حادثة ما في مكان

ما وزمان ما.

3- **تعريف التاريخ اصطلاحا:** عرفه ابن خلدون على أنه >> إن فن التاريخ لا يزيد على أخبار عن الأيام والدول والسوابق من القرون ا لأولى، تنمى فيها الأقوال وتضرب فيها الأمثال، وفي باطنه نظر وتحقيق وتعليل للكائنات ومبادئها دقيق، وعلم بكيفيات الوقائع وأسبابها عميق . (ابن خلدون، 2005).

وهو تأريخ لماض الانسانية والحضارات وما تركه الانسان من آثار مادية وثقافية من خلال الكتابة والتدوين، وهو ذاكرة الشعوب ومرآة للأمة تعكس لنا حوادث الماضي، وحقبات من الزمن والتي كانت نتيجة تفاعل بين الأفراد في مكان ما وزمان ما.

4- **المنهج التاريخي (الاستردادي):** ويسمى بالاستردادي لأنه عملية استرداد وعملية استرجاع للماضي، وهو منهج علمي مرتبط بمختلف العلوم الأخرى، حيث يساعد الباحث الاجتماعي خصوصا عند دراسته للتغيرات التي تطرأ على البنى الاجتماعية، وتطور النظم الاجتماعية في التعرف على ما في الظاهرة وتحليلها وتفسيرها علميا، في ضوء الزمان والمكان الذي حدثت فيه، ومدى ارتباطها بظواهر أخرى ومدى تأثيرها في الظاهرة محل الدراسة، ومن ثم الوصول إلى تعميمات، والتنبؤ بالمستقبل.

4- صفات الباحث التاريخي:

- أن تكون للباحث ثقافة واسعة في اللغات لاسيما لغة البحث.
- أن يكون قادرا على فهم وتحليل القضايا.
- أن تكون له خلفية تاريخية على موضوع البحث وخاصة المصطلحات الخاصة بوثائق البحث.
- يجب أن تكون له معرفة بالعلوم الأخرى كالأحكام والنقود والجغرافيا وذلك لأنه لا يمكننا دراسة الحادثة التاريخية بمعزل عن العلوم الأ خرى.

5- خصائص المنهج التاريخي:

- يعتمد على ملاحظات الباحث وملاحظات الآخرين.

- لا يقف عند مجرد الوصف بل يحلل ويفسر.
- عامل الزمن حيث تتم دراسة المجتمع في فترة زمنية معينة
- أكثر شمولا وعمقا لأنه دراسة للماضي والحاضر.

6- أهمية المنهج التاريخي:

- يساعدنا على التعرف على البحوث السابقة.
- يساعدنا على معرفة تطور المشاكل وحلولها السابقة، ودراسة سلبيات وايجابيات هذه الحلول.
- يساعد في التعرف على تاريخ وتطور النظم وعلاقتها بالنظم الأخرى والبيئة التي نشأت فيها.
- يمكننا هذا المنهج من حل مشاكل معاصرة على ضوء خبرات الماضي.
- لا يقتصر المنهج التاريخي على التاريخ والعلوم الاجتماعية فقط بل يتعدى استخدامه إلى العلوم الطبيعية، الاقتصادية، العسكرية.
- يمثل تكامل بينه وبين المنهج المقارن.

7- أهداف المنهج التاريخي:

- التأكد من صحة حوادث الماضي بوسائل علمية.
- الكشف عن أسباب الظاهرة بموضوعية على ضوء ارتباطها بما قبلها أو بما عاصرها من حوادث.
- ربط الظاهرة التاريخية بالظواهر الأخرى الموالية لها والمتفاعلة معها.
- امكانية التنبؤ بالمستقبل من خلال دراستنا للماضي.
- التعرف على نشأة الظاهرة.

8- خطوات المنهج التاريخي:

عند دراسة ظاهرة أو حدث تاريخي يتوجب على الباحث اتباع خطوات أثناء دراسته وهي كما يلي:

1- **اختبار موضوع البحث:** نقصد هنا تحديد مكان وزمان الواقعة التاريخية، الأشخاص الذين دارت حولهم الحادثة، فذلك نوع النشاط ا لانساني الذي يدور حوله البحث.

2- **جمع البيانات والمعلومات أو المادة التاريخية**: بعد الانتهاء من تحديد مكان وزمان الواقعة التاريخية يأتي دور جمع البيانات اللازمة، و المتعلقة بالظاهرة من قريب، أو منبعيد، وتنقسم إلى مصادر أولية وثانوية:

- ✓ المصادر الأولية: تتمثل في السجلات، الوثائق، الآثار، المذكرات الشخصية، محاضر اجتماعات.....إلخ.
- ✓ المصادر الثانوية: وهي المعلومات غير المباشرة والمنقولة التي تؤخذ من المصادر الولية ويعاد نقلها وعادة ما تكون في غير ح التها الأولى ونجدها في الجرائد والصحف والدراسات السابقة أو الرقصات الشعبية المتوارثة، الرسوم، النقوش، النحوت، الخرائط، التسجيلات الإذاعية والتلفزيونية.

3- **نقد مصادر البيانات:** هذه مرحلة جد مهمة في البحث حيث يجب التأكد من صحة المعلومات التي جمعت وذلك ليكون البحث أكثر مصداقية وأمانة وفي ذلك قال ابن خلدون: >> وكثيرا ما وقع للمؤرخين والمفسرين وأئمة النقل من المغالط في الحكايات والوقائع لاعتمادهم فيها على مجرد النقل غثا وسمينا، ولم يعرضوها على أصولها ولا قاسوها بأشباهها ولا سيروها بمعيار الحكمة والوقوف على طبائع الكائنات وتحكيم النظر والبصيرة في الأخبار فضلوا عن الحق وتاهوا في بيداء الوهم والغلط، ولاسيما في إحصاء الأعداد من الأموال والعساكر، إذا عرضت في الحكايات إذن هي مظنة الكذب ومظنة هدر، ولابد من ردها إلى الأصول وعرضها على القواعد < ح

ويكون النقد داخلي وخارجي:

- ❖ **النقد الخارجي:** يتضمن التأكد من صحة الوثيقة محل البحث وهو بدوره ينقسم إلى نوعين:

  - نقد التصحيح: وهنا يتم التأكد من صحة الوثيقة ونسبتها إلى صاحبها وذلك لما تتعرض له كثير من

الوثائق من حشو وتزييف، وإضافات دخلية أو تحريف لأ سباب كثيرة وأشكال متعددة، فالوثيقة قد تكون مكتوبة بيد المؤلف وإنما بيد شخص آخر، ولا توجد سوى نسخته الوحيدة هذه، فيكون من واجب الباحث تصحيح الخطأ في النقل، قد تكون الوثيقة متعددة النسخ وأماكن التواجد، بحيث يحتاج الأمر إلى تحديد أصليها من ثانويها.

- نقد المصدر: في هذه المرحلة يتم التأكد من مصدر الوثيقة وزمانها ومؤلفها، للتأكد من نسبها لصاحبها وللتحقق من هذه النقاط وجب اتباع الخطوات التالية:

  - التحليل المخبري: حسب طبيعة مادة الوثيقة كاستخدام التحليل بالفحم المشبع، بالنسبة للوثائق الكاربوهيدراتية ولكل مادة أساليب تحليل خاصة بها.
  - دراسة الخط واللغة المستعملة.
  - فحص الوقائع الوارد ذكرها في الوثيقة ومقارنتها بأحداث العصر المنسوبة إليه.
  - تفحص مصادر الوثيقة والاقتباسات.

❖ **النقد الداخلي:** المقصود منه التحقق من معنى الكلام الموجود بالوثيقة سواء المكتوب حرفيا أو المقصود بطريقة غير مباشرة ولذلك فيه نوعان:

- النقد الإيجابي: الهدف منه تحديد المعنى الحقيقي و الحرفي للنص وما يرمي إليه الكاتب وهل حافظ على المعنى نفسه في الوقت الحالي أم لا.
- النقد السلبي: هنا يتم التحقق من رؤية الكاتب لمشاهدة الوقائع بدراسة مدى خطأ أو تحريف الوثيقة، كذلك مدى أمانته في نقل الواقعة، والتأكد من سلامة جسمه وعقله وسنه يلعب دورا كبيرا في التأكد من هذه المعلومات، كذلك معرفة السبب الذي أدى إلى كتابة هذه الوثيقة وا

لإحاطة بجميع ظروفه آنذاك.

4- **صياغة الفروض:** وهي عبارة عن حل مؤقت لإشكالية البحث الذي على إثره يتم دراسة الموضوع.

5- **تحليل الحقائق وتفسيرها وإعادة تركيبها:** هنا يتم تسجيل الظاهرة الراهنة والتي هي موضوع الدراسة في ظل الحقائق التي قام بجمعها والتنسيق بين الحوادث ومن ثم تفسيرها علميا مبتعدا عن الذاتية ومعتمدا في ذلك على نظرية معينة.

6- **استخلاص النتائج وكتابة التقرير:** تعتبر هذه آخر مرحلة في البحث حيث تكون عصارة البحث بالخلوص إلى النتائج التي كان الباحث قد وضع لها فروض سابقة في البداية وكتابة تقريره النهائي حول الظاهرة المدروسة.

9- تقييم المنهج التاريخي:

1- إيجابياته:

- يعتمد المنهج التاريخي على المنهج العلمي في تقديم البحوث.
- النقد الداخلي والخارجي لمصادر جمع البيانات والأولية والثانوية.
- قليل التكلف في جمع البيانات.

2- سلبياته:

تؤخذ عليه بعض المآخذ نذكر منها:

- المادة التاريخية لا تخضع للتجربة وذلك لانقضائها، مما يصعب إثبات الفرضيات.
- يصعب تعميم النتائج المتوصل إليها والتنبؤ بالمستقبل، وذلك لارتباط الظاهرة التاريخية بظروف مكانية وزمانية معينة.
- صعوبة إخضاع البيانات التاريخية للتجريب مما يجعل الباحث يكتفي بالنقد الداخلي والخارجي.
- المعرفة التاريخية تعد ناقصة لما تتعرض له من تزوير وتلف وتحيز

في نقل الأحداث.

رغم الانتقادات أو المآخذ التي سجلت على المنهج التاريخي إلا أنه يحتفظ بمكانته الخاصة ضمن المناهج الأخرى، ويحظى بحصة الأسد من خ لال اختياره في أغلب البحوث العلمية وذلك لما له من أهمية في التعرف على ماضي وكيفية نشأة الظاهرة وتطورها عبر التاريخ، مما يجعل الحلول ممكنة أمام الباحث ويسهل عملية تطبيق الحلول بطريقة علمية وموضوعية.

مراجع المحاضرة:

- عبد الرحمن ابن خلدون، مقدمة ابن خلدون، دار الهيثم، القاهرة ، 2005.
- الخشاب أحمد، التفكير الاجتماعي، دار المعارف، القاهرة، مصر، 1970.
- عيسى محمد طلعت، البحث الاجتماعي، مبادئه ومناهجه، مكتبة القاهرة الحديثة-الطبعة الثانية- 1961.
-
- إحسان محمد الحسن: مناهج البحث الاجتماعي، دار وائل للنشر، الأردن، 2005
- إحسان محمد الحسن: علم الاجتماع، دراسة تحليلية في النظريات والنظم الاجتماعية، مطبعة التعليم العالي، 1988.